وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان –

الملحقة الجامعية –مغنية –

قسم اللغة العربية و آدابها

بحث لنيل شهادة الليسانس حول موضوع:

صلة البديع اللفظي بالمعنى عند عبد القاهر الجرجاني

من إعداد الطالبة :

*شهرزاد الشيخ ميلود *

تحت إشراف الأستاذة :

. فاطمة الزهراء صغير

2014/2013

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى من كان سببا في

وجودي

إلى أعز أخواتي فاطمة ، زكية حورية و إيمان

بالإضافة إلى أعز صديقة لي دليلة .

إلى كل الأحبة و الأصدقاء.

شهرزاد

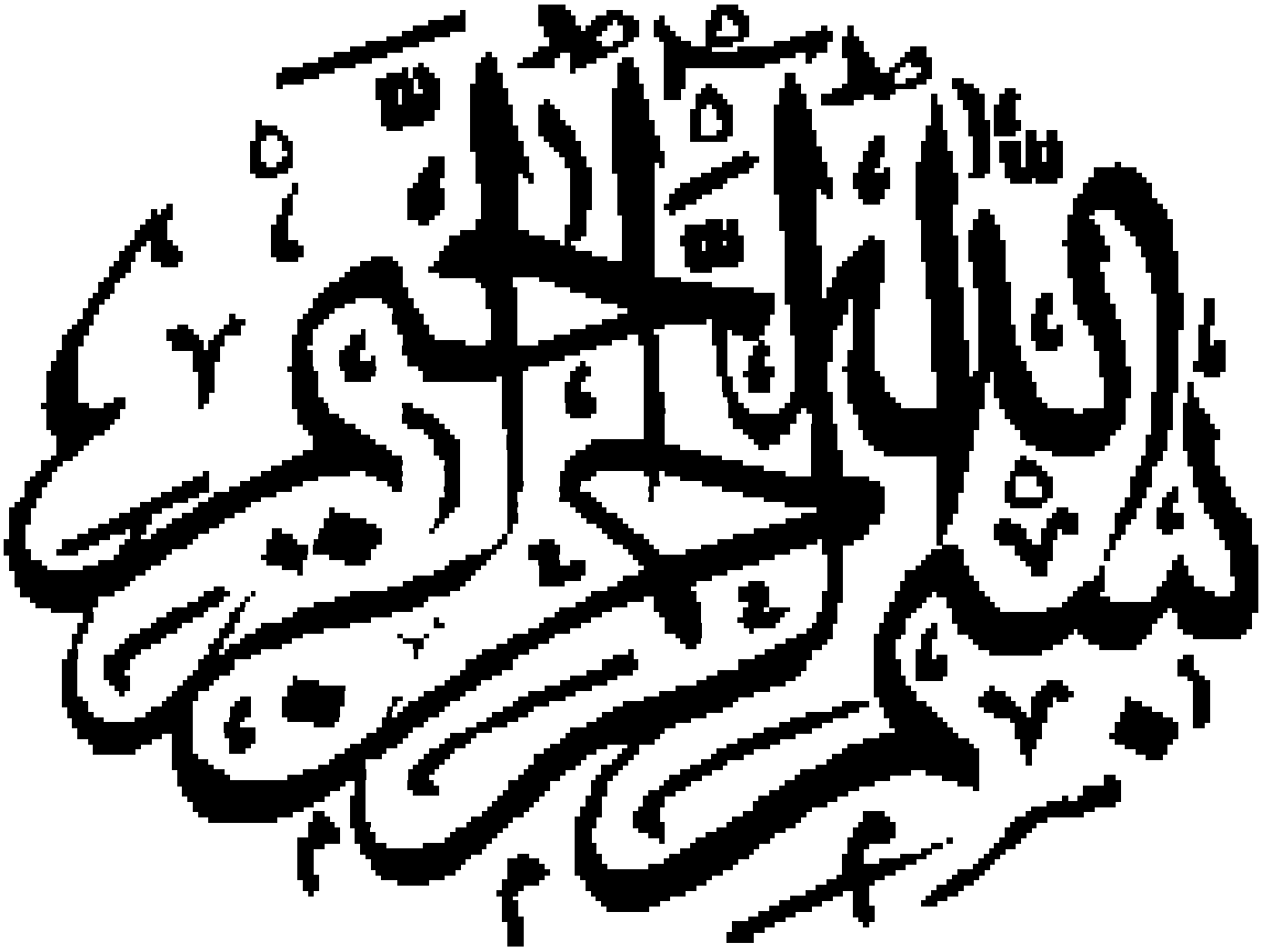

- خطة البحث –

مقدمة

تمهيد: لمحة عن البديع

المبحث الأول: أقسام البديع

اولا: البديع اللفظي

ثانيا: البديع المعنوي

المبحث الثاني: دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

أولا: المحسنات اللفظية التي درسها عبد القاهر الجرجاني

ثانيا: اثر البديع اللفظي في المعنى

خاتمة

يقول عبد القاهر الجرجاني:

" وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب الطلبة أو ما هو لحسن ملاءمته - وان كان مطلوبا. بهذه المنزلة "

مقدمة:

إن اللغة العربية حباها الله، وجعلها لغة القران، حيث امتاز هذا النص العظيم بجمعه بين المعاني البيانية وجمال الرصف، ورونقه وعندما اتخذ علماء العربية القران مدارا لدراستهم اكتشفوا ما ينطوي عليه أسلوبه من إعجاز بياني وبديعي، وراح البديع يتخذ لنفسه مكانا في علوم البلاغة حتى استقل بمبحث يتوزعه قسمان: البديع المعنوي والبديع اللفظي الذي يعتقد أن التحسين فيه معروف إلى اللفظ وحده، ولذلك نتساءل عن ما حقيقة البديع اللفظي، وما سر دراسة عبد القاهر الجرجاني له؟

ولن من دواعي اختياري لهذا الموضوع أهميته في الدرس البلاغي أما الدافع الذاتي فهو محبتي لهذه اللغة الشريفة، وللإجابة على الإشكالية المطروحة تتبعت خطة تمثلت في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ففي التمهيد قدمت لمحة عن البديع، أما المبحث الأول فخصصته لأقسام البديع، ثم المبحث الثاني فجعلته لدراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي، وجاءت الخاتمة عبارة عن أهم النتائج المتوصل إليها، ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في هذا العمل: قلة بعض المصادر المهمة بالإضافة إلى ضيق الوقت، وبهدف تسهيل هذه الصعوبات، استعنت ببعض المصادر والمراجع من أهمها: أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ودلائل الإعجاز، مفتاح العلوم للسكاكي وعلم البديع لعبد العزيز عتيق والبلاغة العربية لعاطف فضل، واعتمدت في ذلك على المنهج الوصفي التاريخي نظرا لطبيعة الموضوع. أخيرا أسال الله النفع والانتفاع بهذا العمل وان يجعله خالصا لوجه الكريم والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

تمهيد: لمحة عن البديع

عرف البديع في الشعر الجاهلي ووردت أمثلة من فنونه في القران الكريم، والحديث الشريف وترددت بعض ألوانه وضروبه في الشعر الإسلامي والأموي، ولكنها كانت تأتي عفو الخاطر، وتصدر عن الطبع والسليقة، دون أن سبطى الشعراء إليها لقد اخذ الاهتمام بفنون البديع بتنامي ابتداء من العصر العباسي، والسبب في تنامي هذه الظاهرة ما حدث من تطور في مظاهر الحضارة وتنوع الثقافات وامتزاج الشعوب وارتقاء الحياة الفكرية وقد ظهرت طائفة من الشعراء مالت الى التجديد في أساليبها الشعرية فتطورت على أيديها الظاهرة البديعية [1].

والبديع في اللغة بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه أنشاه وبدأه وهو الشيء الذي يكون أولا والبديع المحدث العجيب وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها وهو البديع الأول من كل شيء [2]، جاء في القران الكريم " بديع السموات والأرض » [3] أي خالقها ومبدعها، فالبديع ذا الخلق والإبداع ومن هنا يجب التركيز على التميز والفرادة لا على المشاكلة و المماثلة في ضروب البديع و أفانينه.

أما في الإصلاح فالبديع تزين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمل اللفظي أو المعنوي و يسمى العلم الجامع لطرق التدريس ، و للخطيب القزويني تعريفان يكادان يكونان تعريفا واحدا يقول في أولهما :«هو علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة و وضوح الدلالة»[4]

1- البلاغة العربية، عاطف فضل محمد، دار المسيرة ، عمان ، ط1،2011، ص 215.

2- لسان العرب لان منظور ، ج1 ، دار الحديث القاهرة،د/ط 2013 مادة –ب،د، ع، ص 352-353.

3- سورة البقرة الاية 117.

4- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، قراه ياسين الايوبي، ط1، بيروت 1423-2002،ص 173.

كما يقول في ثانيها «هو علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال و وضوح الدلالة ».[1]

و يعرفه ابن خلدون بقوله «هو النظر في تزيين الكلام و تحسينه بنوع من التنميق أما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى اخفي منه لإشراك اللفظ بينهما ، او طباق بالتقابل بين الأضداد و أمثال ذلك»[2]

و كما ساهم النقاد و الكتاب في ترسيخ اتجاه البديع أيضا ، لعلماء البلاغة دور هام في ذلك ، و يعد عبد الله بن المعتز أول من دون فيه كتابه البديع و قد أشار إلى ظهور هذا الفن في شعر القدماء إذ يقول «انه وضعه ليعلم انب شارا و مسلما و ابا نواس لم يسبق والى هذا الفن ، و لكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم»[3] و تحدث في كتابه عن ثمانية عشر فنا من الفنون البديعية جعلها في قسمين الأول أطلق عليه اسم البديع أما الثاني فقد سماه محاسن الكلام ، ثم جاء قدامة بن جعفر في كتابه «نقد الشعر» فبنا على ما قاله ابن معتز و توسع في ذكر الفنون البديعية ، أما أبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتين» فقد تتبع ألوان البديع حتى بلغ عددها عنده خمسة و ثلاثين نوعا ثم جاء ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة في محاسن الشعر و آدابه و قد زاد على ما سبقه من المؤلفين في تتبع ألوان البديع و تصنيفها و أطلق عليها اسم الحلي.

1- المصدر السابق، ص 174.

2- المقدمة، تاليف العلامة عبد الرحمن بن محمح بن خلدون، دار صادر بيروت،ط4 ،2000، ص 446.

3- البديع ابن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خذاجي، ط 1 بيروت، دار الجيل 1990، ص 73.

و قد جمع في كتابه قرابة سبعة و ثلاثين نوعا من أنواع البديع جعل منها المجاز و الاستعارة و التشبيه ، و لاحظ عبد القاهر الجرجاني الاهتمام الزائد بين الشعراء بفنون البديع و لمس انسياق الأدباء في تيارها الجارف فعارض هذا الاتجاه البديعي بقوله « وقد تجد في كاتم المتأخرين كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له في البديع، إلى أن ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين، و يخيل إليه انه إذا جمع أقام البديع في بيت فلا خير أن يقع ما عناه من عمياء، وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء» [1]. ثم تنامى التأليف في البديع وجاء السكاكي الذي قال في شانه: « وإذا تقرر أن البلاغة بمرجعيها وان الفصاحة بنوعيها، ما يكسوا الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يضار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها أو هي قسمان قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ » [2].

وبلغ البديع ذروة نضجه في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن على يد الخطيب القزويني الذي لخص كتاب مفتاح العلوم في كتاب سماه تلخيص المفتاح ثم شرحه في كتاب أخر سماه الإيضاح وفيه أخذت علوم البلاغة وانفصلت أقسامها: المعاني والبيان والبديع، وعلى ذلك سارت الدراسات البلاغية بعد أن كانت متداخلة عند من سبقه.

وقد رأى النقاد أن في كل لون من ألوان البديع حلية لفظية او معنوية من شانها أن تضيف إلى الكلام رونقا وجمالا مثل ما يمكن ملاحظته

1- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفاضلي، ط1 ، المكتبة العصرية 1424هـ-2003م، ص 11.0

2- مفتاح العلوم للسكاكي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص 532.

في ما يحدثه السجع أو الجناس مثلا من إيقاع موسيقي جميل كما أن المناسبة بين الألفاظ عن طريق الجناس تحدث ميلا إلى الإصغاء وتلفت الانتباه إلى ما تنطوي عليه الألفاظ المتجانسة من اختلاف في المعاني، على أن يكون استخدام هذه المحسنات منسجما مع سياق الفكرة والمعنى دون مبالغة أو تعقيد أو غرابة تؤدي إلى التكلف ومخالفة الطبع السليم، وقد كان لعلماء البلاغة الدور البارز في تنوير البديع وأساليبه [1]

1- البلاغة العربية، عاطف فضل|، ص 218.

المبحث الأوّل
أقسام البديع

أولا: البديع اللفظي:

وهو نوع من البديع ويسمى أيضا المحسن اللفظي والذي يكون التحسين فيه راجعا إلى اللفظ أصالة وان حسن المعنى أحيانا تبعا وهو يحتوي على مجموعة من المحسنات اللفظية حيث تكون في الصورة والشكل، يقصد بها تحسين الكلام يعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة، بخلوها من التعقيد اللفظي الذي يحصل عندما تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعاني فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك كتقديم الصفة على الموصوف.[1]

والحقيقة ان المحسنات اللفظية تتعدد وتكثر ويتمثل أهمها في السجع، لزوم ما لا يلزم، رد العجز على الصدر، الاقتباس، القلب ، التطريز، التشريع، الموازنة بالإضافة الى المحسن اللفظي الذي يمثل في الجناس وهو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهذان اللفظان يسميان ركني الجناس[2]

ومن أمثلته في القران الكريم قوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» [3].

في هذا المثال الساعة الأولى يوم القيمة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية، وعلامتها انه لو تغير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك الحسن فلو قيل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا، الا قليلا لضاع ذلك الحسن.

1- علوم البلاغة ابيان والمعاني والبديع لمحمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت لبنان، د.ط ،ص 296.

2- علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط ،1424-2004 ، ص 195.

3- سورة الروم الاية 55.

حيث قال الجرجاني في أسرار البلاغة لا يحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معينيها من العقل موقعا جيدا [1]

ولم يكن الجامع بينهما بعيدا أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

لأمر يرجع إلى اللفظ أم لأنك لم رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني، ورايتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن اسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، فمن قول الجرجاني تظهر أهمية البديع اللفظي وذلك في التأثير البليغ إذ تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة وتجعل العبارة إلى الإذن سهلة مستساغة فتجد من النفس القبول والتأثير وتقع من القلب أحسن موقع.

ومن أنواع الجناس التي استحسنها الإمام الجرجاني هو الجناس المطرف ووجه حسن هذا النوع كما يقول« انك تتوهم قبل أم يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم إنها هي الكلمة التي مضت وإنما أتى للتوكيد حتى إذا تمكن أخرها في نفسك ووعاه سمعك، انصرف عمك ذلك التوهم، وفي ذلك حصول الفائدة بعد ان يخالطك اليأس»[3] وتظهر فائدته في الميل

1- أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني، ص10

2- ديوان أبي تمام،تحقيق محي الدين صبحي دار صادر بيروت م 01 ط01 1997 ص 123.

3- المصدر السابق،ص 7 و 10.

الى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به اخر كان للنفس تشوق اليه، ومغنى هذا الكلام ان الجناس قائم على تكرار اللفظة بوزنها وحروفها وايقاعها، والنفس بطبيعتها تميل الى الايقاع القولي المتوازن، وانه يقع منها موقع الاستحسان، وتشوق اليه يقول ابن الاثير« واذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفي موقع الاستحسان وهذا لا هراء فيه لوضوحه »[1] وذلك فيما يرى لان الاعتدال مطلوب في جميعالاشياء والنفس تميل اليه بالطبع او هو كما يرى العلوي « مقصد من مقاصد العقلاء يميل اليه الطبع وتتشوق اليه النفس »[2]

ويرى البلاغيون ان خير انواع الجناس ما تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها نحو قوله تعالى« يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل على النهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار»[3]

فالابصار الاولى جمع بصر وهو حاسة الرؤية والابصار الثانية جمع بصر وهو العلم واولي الابصار هم اصحاب العلم.

ولكي يكون الجناس مستحسنا الى جانب الطبع وعدم التكلف والصناعة فيه، وجب ان يكون مرمى الجمع بين معنيي تجانس لفظية قريبا من العقل بعيد عن التعمية، وليس ايراد الجناس وجلبه قسرا على نحو الاستكراه، لضرورة وزن او قافية او تكلف صنعة بديعية فالكلام انما يروق اذا جرى السيل وانصبت انصباب القطر[4]

1- المثل السائر، ضياء الدين ابن الاثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، الرياض،د.ط،ج1،1990، ص 378.
2- الطراز علي بن حمزة العلوي،دار الكتب العلمية، بيروت،ج3،د.ط، 1980، ص 21.
3- يورة النور الاية 43
4- بحوث في منهجية علوم البلاغة العربية دروي ودراسات ابن عبد الله احمد شعيب ابن خلدون للنشر والتوزيع،د.ط، ص 438.

ثانيا: البديع المعنوي:

وهو القسم الثاني من البديع ويسمى ايضا المحسن المعنوي والذي يكون التحسين به راجعا الى المعنى اولا وبالذات وان كان يعضه قد يفيد تحسين اللفظ.

وهو يضم مجموعة من المحسنات المعنوية حيث يعرف كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ختى تكون وفق البلاغة في منثور الكلام ومنظومه بالاظافة الى معرفة وجه اعجاز القران من وجهة ما خصه الله به من حسن التاليف وبراعة التركيب وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلاسة، فنقتنع ببلاغته وندرك السر في فصاحته[1]

ومن اهم هذه المحسنات البديعية المعنوية:

المطابقة، المقابلة، المبالغة، الاغراق، الغلو، التبليغ، التورية، التقسيم، الالتفات ، الجمع، التفريق، المشاكلة، تاكيد المدح بما يشبه الذم، تاكيد الذم بما يشبه المدح، اللف والنشر، مراعاة النظير، اسلوب الحكيم، المذهب الكلامي، تجاهل العارف، الجمع مع التفريق، حسن التعليل [2]

ومن امثلة البديع المعنوي الطباق في قوله تعالى:« يعلم ما يسرون وما يعلنون» [3] وهنا الطباق بين يسر ويعلن وعلامتها انه لو غير اللفظ بما يرادفه فقيل مثله

1- علوم البلاغة والمعاني والبديع لمحمد مصطفى المراغي، ص296.
2- البلاغة التطبيقية،دراسة تحليلية لعلم البديع، محمد رمضان الجربي، منشورات ELGA، د.ط 2001،ص 36.
3- سوة البقرة الاية 77.

(يعلم ما يخفون وما يظهرون) لم يتغير المحسن المذكور والجرجاني بذلك ينكر لن يكون للمعاني مزية في البلاغة كما نكر ذلك بالقياس إلى الألفاظ من حيث هي ألفاظ وهو يرى أن اللفظ تابع للمعنى ضرورة إذا الألفاظ أوعية للمعاني وهي أدواتنا لفهم هذه المعاني فإذا وجب المعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه ان يكون مثله لولا في النطق، فلا يتصور ان يعرف المرء للفظ موضعا من غير ان يعرف معناه وينقل عنه في ذلك كلاما منه قوله « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير»[1]

ولهذا التلازم في العملية الفكرية بين الألفاظ في السياق ودلالتها على معناها العام، يرى الجرجاني انه لا يتصور بحال انه يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى لأنه لايتصور لن يحصل المرء على المعنى، أو على حدة ثم بحث له عن الألفاظ الدالة عليه، إذ أن الألفاظ لا تطلب بحال وإنما تطلب من اجل المعاني في الصياغة والسياق[2]

وخلاصة القول أن الألفاظ عند عبد القاهر الجرجاني لا قيمة لها في ذاتها على انفراد وان كانت هي المواد الأولى التي تتكون منها تلك الصورة وهي في مواقعها من الجمل توصف بالحسن والقبح

1- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود محمد شاكر ، القاهرة مكتبة الخانجي 1984 م ص 44.
2- بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ابن عبد الله احمد شعيب،ص 36.

ولكن يراعي في تقويم الحسن والقبح أثرهما في مجموع الصورة وفي هذه الصورة يتمثل المعنى الذي يهدف إليه الكاتب عن طريق تصويره الألفاظ.

إذن فأهمية الألفاظ في مواقعها من الجمل بوصفها الوسائل التي بها يؤدي المعنى ولا أهمية لها في ذاتها [1]

وإنما تظهر الألفاظ أهميتها في أداء المعاني ، ويتجلى ذلك في تأليف الكلام، وهنا تظهر مزية الصياغة وما فيها من ألفاظ في جلائها للصورة فالبلاغة والفصاحة وسائر ما تجري في طريقها أوصاف رابعة إلى المعاني والى ما يدل عليه بالألفاظ أنفسها، وإذن ليس معنى هذا إغفال الألفاظ في مواقعها من الجمل لأنها هي وسائل التفكير والتصوير الأدبي إنما حسن الدلالة وتمامها، وجلاؤها في صورة أبهى وأعجب وأكثر أثرا في النفس، ليست سوى خصائص لا تتوفر إلا بان يؤتي بالمعنى من جهة، ونختار له اللفظ الذي هو اخص به وأكثف عنه وأتم عنه من جهة، ونختار له اللفظ الذي هو اخص به وأكثف عنه وأتم له، وأحرى بان يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية ولا تكون المزية للكلمة إلا بحسب موقعها في الجملة لالتئام معناها مع معنى جاراتها ولذا تحسن الكلمة في موضع وتقبح في موضع أخر.

1- دلائل الاعجاز، عبد القار الجرجاني، ص 49.
2- المصدر نفسه، ص 200.
3- المصدر نفسه ص 307 - 308

المبحث الثاني

دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

المبحث الثاني دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

أولا :المحسنات البديعية التي درسها عبد القاهر الجرجاني

يعبد عبد القاهر الجرجاني المؤسس الحقيقي لعلم البلاغة، فقد تناول فكرة النظم التي أشار إليها سابقوه إشارات مبهمة، فحدد معناها بأنه استعمال التراكيب النحوية في مواضعها اللائقة بها، نقول:انطلق زيد، وينطلق زيد وزيد ينطلق ، وزيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق زيد وفي هذه الجمل كلها تنسب إلى زيد صفة الانطلاق ولكن لكل تركيب من هذه التراكيب دلالة خاصة بحيث لا يصلح واحد منها في المكان الذي يصلح له أخر، تتبع عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز خصائص التراكيب النحوية كالإخبار بالاسم والإخبار بالفعل وتأكيد الجملة الاسمية «بان» واستعمال «الذي» وحذف المبتدأ من الجملة الاسمية كما يلح على تأكيد الفروق المنوية التي يحدثها استعمال أسلوب دون أسلوب، وكما كان النظم راجعا إلى ملاحظة الفروق المعنوية بين التراكيب النحوية التي تشترك في أصل المعنى، فقد عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بأنه مراعاة معاني النحو ومن هذا التعبير جاءت تسمية علم المعنى المعروفة لدينا والتي استخدمها البلاغيون من بعده، والمعروف لدينا انه عد مؤسسا لعلم المعاني وكذلك المؤسس الفعلي لعلم البيان على الرغم من أن أبواب هذا العلم قد عرفت كلها بالمجاز والاستعارة والتشبيه والكناية، عند سابقيه، ولكنه فصل القول فيها بينما تأثيرها في المعنى على نحو ما فعل في التراكيب النحوية، بالإضافة الى المعاني والبيان نجد كذلك البديع يضم عنده الطباق والتجنيس والسجع كما يضم الاستعارة وبعض فنون البديع في كتابه [1]

1- البلاغة العربية، عاطف فضل ص 30-31.

المبحث الثاني دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

دلائل الإعجاز، ولم يخالف أسلافه في ذلك لكننا إذا نظرنا فيما كتبه – من جهة أخرى – عن الجناس والسجع فإننا نرى حديثه يختلف عما كتبه هؤلاء وجل ما أوردوه يتصل ببيان الحدود والاستشهاد بالأبيات الكثيرة بعد ذلك ومحاولة الوقوف على أنواع جديدة من البديع، أما عبد القاهر فقد صرف حديثه إلى بيان أسباب المزية ي الجناس والسجع وهما من فنون البديع اللفظي، فهنا عبد القاهر الجرجاني يعول على المزية في تالف معاني الكلمات المتجانسة حيث يقول في هذا الشأن: «أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييها من العقل حميدا» [1] وراح يثبت أن الجمال فيهما لا يرجع إلى جمال الألفاظ وإنما يرجع إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيبا يؤثر في النفس ويضرب لذلك مثلا من امثلة الجناس وهو قول المحدث (الخفيف)

ناظراه فيما جنى ناظراه أودعاني أمت بما أودعاني

ويعلق عليه بقوله « قد أعاد الشاعر عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاك ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفي منه – أي يقصد الجناس التام – المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكورا في أقسام البديع » [2] وقد لاحظت أن الجناس عنده في مثل بيت أبي الفتح البستي، يرجع إلى المفاجأة وان الكلمة ترى كأنها لا تعطيك شيئا جديدا وهي في الحقيقة تعطي كثيرا ولذلك يؤثر الجناس التام بما فيه من خداع وخفاء لا يلب ثان ينكشف، ومن تم عد من حلى الشعر

1- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد الفاضلي، ط1، المكتبة العصرية 1424هـ 2003م ، ص 10.

- ينسب البيت لأبي الفتاح البستي، ولشداد بن إبراهيم الجزري، ولشمسويه البصري

2- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني،ص10.

المبحث الثاني دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

وذكر في أقسام البديع وكل هذا يرجع إلى المعنى النفسي لا إلى اللفظ ويضرب مثالا أخر للجناس الناقص قول أبي تمام: (الطويل)

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب [1]

ويعقب عبد القاهر بان تأثير الجناس يبعث من المعنى النفسي ايضا، فان السامع يتوهم قبل أن يرد علبه الحرف الأخير في كلمتي (عواصم وقواضب) أن الكلمتين السابقتين لهما ستعودان ثانية ومن هنا يأتي التأثير حيث يقول « تعود إليك الكلمة مؤكدة حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ووعى سمعك أخرها، انصرفت عن ظنك الأول وزلت عن الذي سبقت من الخيل، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى نرى انه رأس المال »[2]

وفيما توصلت إليه أن رأي عبد القاهر الجرجاني في الجناس مختصرة أن المعنى إذا سيق له الجناس، فانه حينئذ يكون ضرورة لابد منها وإذا احتاج النظم إليه فلا تفضل عندئذ عليه كلمة أخرى، لان العبرة في الوفاء بالمعنى، وعلى ذلك فالجناس والسجع عنده لا يكتسبان صفة القبول أو الحسن حتى يكون المعنى هو الذي طلبهما واستدعاهما وساق نحوهما، فالألفاظ ليست لها مزية ذاتية في الكلام من حيث هي ألفاظ وإنما المزية تأتي دائما مت قبل التراكيب وصورة نظمها وتأليفها ذلك لان الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعم دبها إلى وجه دون وجه من الترتيب والتأليف، وانسجاما مع موقف عبد القاهر الجرجاني هذا يقـــول

1- ديوان أبي تمام، ص 149.
2- أسرار البلاغة؟؟؟، عبد القاهر الجرجاني، ص 17 .

المبحث الثاني دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

الزمخشري ؒقوله: « من سبأ بنبأ » [1] من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يضعه عالم بجوهر الكلام، يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ها هنا زائدا على الصحة ، فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى انه لو وضع مكان (بنبأ) (بخبر) لكان المعنى صحيحا، وهو كما جاء اصح كما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال"[2]

وعن السجع يورد عبد القاهر الجرجاني أمثلة للحسن منه قول القائل:« اللهم هب لي حمدا، وهب لي مجدا، فلا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال »[3] بالإضافة إلى بعض الأمثلة التي ذكرها في كتابه أسرار البلاغة، وما يهم هو أن عبد القاهر الجرجاني قد اهتم بفنون البديع ولكن اهتمامه يختلف عن سابقيه فقد صرف نظمه إلى جانب المزية من البديع بينما حرص غيره ممن تقدمه على التعريف والتقسيم وابتداع الألوان الجديدة، ولكن يمكنني القول انه لا يصح مع هذه الإضافة لعبد القاهر الجرجاني كما ادخله مدخل تالف المعاني لينظر فيه إلى جانب المزية فحسب انه اغفل ألوان البديع لأنه لم يكن يرى فيها إعجاز القران أو لان غيره اهتم بها، أما من حيث توافر المزية في فنون البديع فانه كما تبين يرى في السجع والجناس المزية ما في غيرها من فنون البلاغة الأخرى، حيث يرجع إلى نظريته ونصرته للمعنى كما ذكرت على انه اضطر أما أسلوب القران الكريم في أخر الدلائل إلى أن تجد للحروف مذاقا يوجب الفضيلة ويؤكد أمر الإعجاز، ومنهجه هذا في الحديث عن الجناس

1- سورة النمل الاية 22.
2- الكشاف جار الله الزمخرشي، تحقيق عادل احمد عبد الموجود،وصاحبيه،ج4، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان1998م، ص 4477.
3- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجلاجاني،ص 13.

المبحث الثاني دراسة عبد القاهر الجرجاني للبديع اللفظي

والسجع يرجع إلى ما استخرجه من أية « وقيل يا ارض » [1] في بداية كتابه دلائل الإعجاز، إذ يقول الجرجاني: « وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم وان الأولى لم تلق بالثانية في معناها» [2] فالمزية إذا هي في التلاؤم بين المعاني والألفاظ.

1- سورة هود الآية،44.

2- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراه محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخنتجي1984م،ص 45.

ثانيا:اثر البديع اللفظي في المعنى

من الواضح لدينا أن أصل البديع اللفظي يرجع إلى تحسين اللفظ و أن تبع ذلك تحسين المعنى لانه ان عبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى ، و لعل عبد القاهر الجرجاني خير من فصل في هذه القضية فهو يقرر في معرض الكلام عن الجناس و السجع أنهما يختصان بالقبول و الحسن عندما يكون المعنى هو الذي يقود المتكلم نحوهما ، حتى انه لو تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه و لا سجع فيه و في ذلك يقول "و لن تجد أيمن طائرا و أحسن أولا و أخرا و أهدى إلى الإحسان و اجلب إلى الاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها و تدعها تطلب لنفسها الألفاظ ، فإنها اذا تركت و ما تريد ان تكتسي منها الا ما يليق بها ، و لم تلبس من المعارض الا ما يزينها"[1]

فإما ان تضع في نفسك انك لا بد من ان تجنس او تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي أنت فيه بعرض الاستكراه و على خطر من الخطأ و الوقوع ، في الدم فان ساعدك الجد كما ساعد قول ابي تمام "و أنجدتم من بعد اهتمام داركم فيا دمع انجدني على ساكني نجد"[2] . اذا عبد القاهر هنا يقيم منهجه نفسه الذي وضحه في الدلائل و أفاض فيه بل يكاد يكرر في الإسرار بعض العبارات الأساسية التي وردت في الدلائل مما يوضح فكرة تالف المعاني حيث يقول معلقا على بيت "الفرزدق" الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ.

1- أسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني ص 15
2- ديوان أبي تمام ص 288

و لكن ديافي أبوه و أمه ... بحوران يعصرن السليط اقاربه[1]

و هو بصدد حديثه عن بيان المزية في السجع و الجناس "فانظر أيتصور أن يكون دمك للفظه من حيث انك أنكرت شيئا من حروفه أو صادفت وحشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر ، على موجب ترتب المعاني في الفكر"[2] .

و يؤتي فهمنا هذا الكلام من عبد القاهر الجرجاني انه عرض لبعض فنون البديع اللفظي بهذا المنهج في دلائل الإعجاز ففيه يتضح موقف الجرجاني اذ يقتصر حديثه عنها على كون المزية في تألف المعاني و هذا ما يقوم عليه كتاب الدلائل كله اذ يقول في هذا الشأن "و اعلم ان مما هو أصل في أن يدق النظر و يغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام و يدخل بعضهما في بعض و يشتد ارتباط ثان منها بأول و ان يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا ، و ان يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم ، و في حال ما يبصر مكان ثالث و رابع يضعهما بعد الاولين"[3]

و رأيت ان بيان ها المعنى استغرق دلائل الإعجاز و هو يبين ان ما يعطي الجناس من الفضيلة امر لم يتم الا بنصرة المعنى اذ لو كان اللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، و لما وجد فيه إلا معيب مستهجن ، و لذلك دم الإكثار منه و الولوع به و ذلك ان المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس اليه ، فلا يكون الجناس و السجع مقبولا الا اذا افاد معنى مقبولا ، و لقد سار كثير من النقاد على خطأ عبد القاهر الجرجاني في الحديث عن جمال الجناس.

1- ديوان الفرزدق، تحقيق و شرح كرم البستاني، دار الصادر بيروت مج 1 ط، د/ط ص 46
2- أسرار البلاغة عبد القادر الجرجاني ص 20
3- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص 92.

اذ قالوا بان اصل الحسن فيه ان تكون الألفاظ توابع للمعاني بحيث يأتي الكلام عفوا بعيدا عن التكلف و فصلوا القول في ذلك حيث انه يؤدي وظيفة حلالية ، ووظيفة صوتية و فيها يأتي الجناس للتوسع في التعبير و احتواء المعنى و يظهر ذلك في تكرار اللفظ الواحد بمعنيين مختلفين كما في قول ابي تمام :

بكل فتى ضرب يعرض للقنا .... محيا محلى حليه الطعن و الضرب [1]

و لكن عبد القاهر الجرجاني أهمل الناحية الصوتية و اهتم بجانب المعنى و صرح بهذا فقال "قد فرغنا الان من الكلام على جنس المزية و انها من حيز المعاني دون الالفاظ و انها ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث تنظر بقلبك و تستعين بفكرك ، و تعمل رؤيتك و تراجع عقلك"[2] و عبد القادر الجرجاني و هو يتحدث عن الضربين السابقين - الجناس و السجع – و يجعلهما أساس المزية ان الجاحظ "ترك اولا ان يوفق بين الشبهة و الحيرة في الإعراب و لم ير أن الخلاف إلى الإنصاف و يشفع الحق بالصدق و لم يعن بان يطلب لليأس قرينة تصل جناحه و شيئا يكون رديفا لانه و رأى التوفيق بين المعاني احق و الموازنة فيها احسن و راى العناية بها حتى تكون اخوة من اب و ام و يذرها على ذلك تتفق بالوداد على حسب اتفاقها بالميلاد ، اولى من ان يدعها لنصرة السجع و طلب الوزن أولاد علة عسى الا يوجد بينهما و فاق الا في الظواهر" [3] و نفهم من هذا النص يقضي بان الجاحظ عدل من طلب السجع ، لان المعنى لم يطلبه او لان معناه لا يتلاءم مع معاني الكلمات الأخرى ، ثم يؤكد في موضع

1- ديوان أبي تمام ص 144
2- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص 12

أخر اذا كانت كلمة التجنيس او السجع قد طلبها المعنى و ساق اليها فعند ذلك لا يجوز الا ان نأتي بالسجع ، و قد مضى من كلامه ما يدل على هذا و انسجاما معه يقول عبد القاهر "و لذلك أنكر الأعرابي حيث شكا الى عامل الماء بقوله : (حلئت ركابي ، و شققت ثيابي ، و ضربت صحابي) فقال له العامل (او تسجع ايضا؟) إنكار العامل السجع حتى قال : (فكيف اقول؟) و ذلك انه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ و لم يره بالسجع مخلا بالمعنى"[1]

و أرى بعد هذا الكلام الذي يختصر جوهرة نظرية عبد القاهر في مكمن المزية ان البديع أخذ ضحى جديدا لما ادخله عبد القاهر الجرجاني مدخل تالف المعاني حيث انه ينظر الى جانب المزية فحسب و يبتعد عن النظر في حدوده ، و البحث و التنفير عن أنواع جديدة منه ، و ابتداع التسميات للألوان الجديدة او الإكثار من ضرب الأمثلة له من دون تعليق يشير الى مواضع المزية فيه حيث يقول عبد القاهر الجرجاني "و اعلم ان النكتة التي ذكرتها في تجنيس و جعلتها العلة في استجابة الفضيلة و هي حسن الإفادة مع ان الصورة صورة التكرير و الإعادة"[2] و يضيف أيضا "و على الجملة فانك لا تجد تجنيسا مقبولا ، و لا شجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه ، و حتى تجده لا تبتغي به بدلا ، و لا تجد عنه حولا ، و من هنا كان أحلى التجنيس تسمعه و اعلاه ، و أحقه بالحسن و اولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه و تأهب لطلبه او ما هو لحسن ملاءمته و ان كان مطلوبا بهذه المنزلة"[3] و هذه اضافه جليلة من عبد القاهر و هي ما كان ينبغي ان يصرف اهل البلاغة اليه جهودهم كما قال احد الباحثين [4]

بالإضافة إلى أن الكثير من الباحثين وجدوا أن لهذه الإضافة أثرا كبيرا وفائدة في علم البديع حيث يقول إبراهيم عبد الحميد السيد البلتي: « فقد ارتقى البديع عند عبد القاهر إلى مكانة رفيعة، وصار جزءا من النظم الذي ترجع إليه بلاغة الكلام»[1]

ونلاحظ من هذا القول أن عبد القاهر الجرجاني اكسب البديع قيمة فنية لما اعتبره عنصرا هاما بالنسبة لتالف المعاني وهذا يبين لنا أن جمال الألفاظ يكون في تعلقها بالمعاني.

1- المصدر السابق ص14
2- المصدر نفسه ص 17
3- المصدر نفسه ص 12
4- البديع المصطلح و القيمة، عبد الواحد علام، القاهرة، مكتبة الشباب 1992 ص 149

الخاتمة

خـــاتمة:

وبعد بحث قضية البديع اللفظي عند عبد القاهر الجرجاني نخلص إلى:

- الصورة البديعية هي الصورة الأدبية تقنيا بواسطة صياغات علم البديع عن طريق المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية.
- المحسنات البديعية هي وجوه تحسين الكلام من ناحية اللفظ أو من ناحية المعنى .
- جمال الألفاظ يكون في تعلقها بالمعنى وهذه نظرة عبد القاهر الجرجاني التي تقوم على التكاملية.
- الجناس والسجع يختصان بالقبول والحسن عندما يكون المعنى هو الذي يقود المتكلم إليهما.
- اهتمام عبد القاهر الجرجاني بفنون البديع يختلف عن سابقيه فقد صرف نظره إلى جانب المزية فيه.
- جمال الجناس والسجع لا يرجع إلى جمال الألفاظ من حيث هي ألفاظ، وإنما يرجع إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيبا يؤثر في النفس.
- حديث عبد القاهر الجرجاني عن الجناس والسجع لم يكن مقصودا لذاته وإنما جاء كلامه عنهما في معرض الاستدلال، على نظريته القائلة بان الألفاظ ليست لها مزية ذاتية في الكلام، من حيث هي ألفاظ وإنما المزية تأتي دائما منة قبل التركيب وصورة نظمها وتأليفها.

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم

1- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ.2003 م.

2- بحوث متهجية في علوم البلاغة العربية، دروس ودراسات ابن عبد الله احمد شعيب، ابن خلدون للنشر والتوزيع،د. ط، د.ت

3- البديع بين المتقدمين والمتأخرين، إبراهيم عبد الحميد السيد البتلي دار الطباعة المحمدية – القاهرة- ط1 1999م

4- البديع عبد الله بن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجميل بيروت،ط1، 1990

5- البديع المصطلح والقيمة عبد الواحد علام ، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط 1992

6- البلاغة التطبيقية، دراسة تحليلية لعلم البديع، محمد رمضان الجربي، منشوراتELGA،د.ط 2001م

7- البلاغة العربية، عاطف فضل محمد،دار المسيرة، عمان،ط1،2001

8- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن،ط1، 1423هـ، 20م

9- دلائل الإعجاز، عبد قاهر الجرجاني قراه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،د.ط 1984م

10- ديوان ابي تمام، تحقيق محي الدين صبحي، دار صادر بيروت، م.ج1،ط1،1997

11- ديوان الفرزدق تحقيق وشرح كرم السبتاني، دار صادر بيروت ،م ج 1،د.ط د.ت

12- الطراز علي بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، د.،1980

13- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع لمحمد مصطفى المراغي دار القلم، لبنان،د.ط-د،ت

14- الكشاف جار الله الزمخشري، تحقيق عادل احمد عبد الموجود وصاحبيه، مكتبة العبيكان،ج4، الرياض، ط1،1998

15- لسان العرب لابن منظور، دار الحديث القاهرة ، م.ج ،د.ط 2003

16- المثل السائر ضياء الدين ابن الاثير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية القاهرة،ج1،د.ط 1990
17- مفتاح العلوم يوسف أبي بكر السكاكي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط 1983
18- المقدمة ، تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار صادر بيروت،2000.

ملخص :

يصنف البديع ضمن الفنون البلاغية و هو ينقسم إلى قسمين :

محسنات بديعية معنوية كالطباق و المقابلة و المبالغة و أخرى لفظية كالجناس و السجع و الموازنة و هده المحسنات و ضعت لتزيين الكلام و تنميقه إلا ان عبد القاهر الجرجاني يؤكد على صلتها الوثيقة بالمعنى دلك لان الألفاظ ترتبط وتتعلق بها و عندئذ لا تكون المحسنات البديعية اللفظية حسنة إلا ادا طلبها المعنى

الكلمات المفتاحية : البديع ، المحسن البديعي ، اللفظ، المعنى ، عبد القاهر الجرجاني

Résumé :

Cette études a pour objectif de mettre le point sur un des arts de rhétorique qui est * la création * cette pièce artiotique contienne deux parties :
Améliorants Bdieih et Ktabaq moral et entretien et d'exagération et d'autres Kganas verbale et l'assonance, l'équilibrage, ce sujet amendements et à décorer la parole et Tnmiqh Mais Abdelkader Jerjani souligne sa pertinence dans le sens pétrir parce que les mots sont les significations et puis ne pas être valorisation Alibdieih verbale ainsi que sur demande Lada

Summary

Tis stydy ains at focusing on one of the arts of rhetorie which a the creativity this pnaster piece two parts :classified within the rhetorical arts is divided into two sections:
Improvers Bdieih and moral Ktabaq and interview and exaggeration and other verbal Kganas and assonance, balancing, this topic amendments and put to decorate speech and Tnmiqh But Abdelkader Jerjani emphasizes its relevance in the sense knead because the words are in the attached meanings and then not be upgraders Alibdieih verbal well only on request Lada